

شرح أصول الكافي

[64] الآخر أن الهداية منه التعريف كقوله تعالى: * (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) * وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها - الحديث " : وقال المحقق الطوسي: الإضلال: إشارة إلى خلاف الحق وفعل الضلالة والإهلاك، والهدى: مقابل له، والأولان منتفیان عنه تعالى، وفي الشرح يعني يطلق الإضلال على معان ثلاثة: الأول: الإشارة إلى خلاف الحق، الثاني: فعل الضلالة، الثالث: الإهلاك، والهدى مقابل له فيطلق على مقابلات المعاني الثلاثة المذكورة الإشارة إلى الحق وفعل الهداية وعدم الإهلاك والإضلال بالمعنيين الأولين منتف عنه تعالى لأنه قبيح، وإِ تعالى منزّه عن فعل القبيح، وأما الهدى فيجوز أن يسند إليه تعالى بالمعاني الثلاثة فما ورد في الآيات من إسناد الإضلال إليه فهو بالمعنى الثالث أعني الإهلاك والتعذيب كقوله تعالى * (ومن يضل فأولئك هم الخاسرون) * وقوله تعالى * (يضل به كثيرا) *. وأما الأشاعرة فالإضلال عندهم بمعنى خلق الكفر والضلال بناء على أنه لا يقبح منه تعالى شيء. وقال الفاضل الأستر آبادي في حاشيته على هذا الحديث: يجئ في باب ثبوت الإيمان أن إخلق الناس كلهم على الفطرة التي فطرهم عليها لا يعرفون إيماننا بشريعة وكفرا بحدود. ثم بعث إإ الرسل يدعو العباد إلى الإيمان به فمنهم هدى إإ ومنهم لم يهده إإ، وأقول: هذا إشارة إلى الحالة التي سمتها الحكماء العقل الهولاني. ومعنى الضال هو الذي انحرف عن صوب والصواب ولما لم يكن قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب صوب صواب امتنع حينئذ الانحراف عنه، ولما حصل أمكن ذلك فيكون إإ تعالى سببا بعيدا في ضلالة الضال، وهذا هو المراد بقوله (عليه السلام) يضل. وقال في الفوائد المدنية: وأما أنه تعالى هو المضل فقد تواترت الأخبار عنهم (عليهم السلام) بأن إإ يخرج العبد من الشقاوة، إلى السعادة ولا يخرج من السعادة إلى الشقاوة فلا بد من الجمع بينهما ووجه الجمع كما يستفاد من الأحاديث وإليه ذهب ابن بابويه: ان من جملة غضب إإ تعالى على بعض العباد أنه إذا وقع منهم عصيان ينكت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب وأناب يزيل إإ تعالى تلك النكتة وإلا فتنشر تلك النكتة حتى تستوعب قلبه كله فحينئذ لا يلتفت قلبه إلى موعظة ودليل. لا يقال: من المعلوم أنه مكلف بعد ذلك، وإذا امتنع تأثر قلبه فيكون تكليفه بالطاعة من قبيل التكليف بما لا يطاق، لأننا نقول: من المعلوم أن انتشار النكتة لا ينتهي إلى حد تعذر التأثير، ومما يؤيد هذا المقام ما اشتمل عليه كثير من الأدعية المأثورة من أهل بيت النبوة صلوات إإ عليه من الاستعاذة بإإ من ذنب لا يوفق صاحبه للتوبة بعده أبدا، ثم أقول: إن هنا دقيقة أخرى هي أنه يستفاد من قوله * (وهديناهم
